



تجريم اسرائيل... وتطبيعها

بدأ الامر كتحدٍ، ولو دعائي محض، في وجه استملاك اسرائيل الدائم صورة الضحية في عيون الغرب واختبار لعالمية القوانين "الحقوقنسانية" الاوروبية. لكنه استحال بسرعة ملفنة معطى سياسياً مؤثراً في الشرق الاوسط. والحال ان مجرد قبول القضاء البلجيكي الدعوى المرفوعة ضد اربيل شارون في بروكسيل، ومهما ستؤول اليه هذه القضية، يشكل فاتحة لتطورات لا يتصورها معظم الذين يتحمسون الآن لمقاضاة رئيس الحكومة الاسرائيلية، وقد يفاجأون غداً بما تؤدي اليه. ويكمن عنصر المفاجأة المحتملة من كون هذه التطورات غير قابلة للتوقف عند حدود الساحة السياسية الاسرائيلية، وان تكن حكماً المجال الاول الذي يتأثر من الحجم الذي اكتسبته قضية شارون، وخصوصاً بعد اتساع المطالبة بمقاضاته الى الولايات المتحدة عبر منظمة "هيومان رايتس واتش". ولن يكون غريباً في ظل الانزعاج الاميركي من شارون، ان تتقاطع متطلبات انقاذ سمعة اسرائيل مع الشرخ البادئ في الاتساع، في مكان آخر، بين جناحي الائتلاف الحاكم (والذي عبّر عنه شمعون بيريس قبل يومين)، لتفضي الى انفراط عقد الحكومة في امدٍ اقرب مما كان متصوراً. ولا تخفف من هذا الاحتمال مظاهر الوحدة السياسية التي حركها في اسرائيل القضاء البلجيكي، فمهما تكن حدة الحمية الوطنية فيها امام ما يحسب تدخلاً "اجنبياً"، فان ما درج شارون على اثارته من تلمل في المجتمع السياسي الاسرائيلي، ولا يزال يثيره، كفيل بتغليب حساب الربح والخسارة عندما يحين الوقت. ولا حاجة، حتى يأتي هذا الاوان، الى صدور مذكرة توقيف من القاضي البلجيكي. فبعدما شاعت المطالبة باستحصال حق ضحايا صبرا وشاتيلا في اكثر من عاصمة عالمية، قد تكفي مصادقة نص قضائي اوروبي على خلاصات لجنة كاهانا لحث المسؤولين الاسرائيليين الآخرين على البحث عن مخرج.

وإذا كانت المفاعيل المرتقبة للدعوى المرفوعة امام القضاء البلجيكي تحمل طابعاً راهناً بالنسبة الى اسرائيل، فثمة مفاعيل اخرى طويلة الامد، الا انها تطول المجتمعات العربية، واللبناني منها تحديداً (في ما يتعدى مسألة السيد الياس حبيقة)، وهذا ما قد يذهب بعكس ما يشتهيها ربما بعض الذين يصفقون عن حق لاحتمال ادانة شارون. ولعل اول مفعول غير منظور لهذه القضية هو انها تدخل الى مسار العولمة قسماً من الجمهور العربي يتحمس في العادة لكيل اعنف الصفات اليها.

ففي لجوء المحامي شبلي ملاط الى القضاء البلجيكي استخدام ذكي لاحد ابرز ابعاد العولمة، اي البعد القانوني المتمثل في توسع صلاحيات المحاكم الى ما هو ابعد من حدود الدول. وليس هذا الاستبطان للعولمة الحقوقية تطوراً نظرياً بحتاً، بل يمكن ان يصبح مدخلاً لتحركات قضائية ضد حكام ومسؤولين عرب. وإذا كان القضاء البلجيكي لم يتردد في قبول دعوى موجهة ضد رئيس حكومة اسرائيل، الدولة المدللة من الرأي العام الغربي، فيمكن تصور قابليته للبحث في اتهامات ترفع ضد مسؤولين في بعض الدول العربية "المشهود لها" بسجلها في التعذيب الوحشي والقمع



بواسطة القتل الجماعي، وكلها انتهاكات تجيز المواثيق الدولية الحديثة، فضلا عن الاجتهاد الوطني في هذا البلد او ذلك، اعتبارها جرائم ضد الانسانية.

ولا ريب في هذه الحال ان "الوعي المعذب" الذي يكبح قاضياً اوروبياً عندما يتعلق الامر بسياسي اسرائيلي، ينتفي اذا جاء دور مسؤول عراقي او سوري او جزائري. وثمة مفعول آخر لا يقل تأثيراً يتمثل في "تحرك" صورة اسرائيل العربية. ذلك ان اقامة دعوى تتعلق بجريمة محددة تفيد معنى الاقرار بوجود تدرج في الجرائم الاسرائيلية، فيما يميل الوعي العربي الى خلطها في سياق تنديده بالعنصرية الصهيونية وعدائيتها الدائمة. طبعاً، لا بد من البدء من مكان معين، ومجزرة صبرا وشاتيلا هي المكان الانسب.

ولكن، حتى اذا افترضنا ان الدعوى توصلت الى النتيجة المرجوة وسمحت تالياً بتحريك قضايا اخرى اقل "شعبية" في الغرب، فسيؤدي هذا التدرج منطقياً الى سحب قسم من السياسات الاسرائيلية من دائرة الاتهام. ولا يعني ذلك مهادنة، انما فقط قبول معيار النسبية من جمهور ينزع الى اعتبار كل الاسرائيليين سيان. وبهذا المعنى، انه بداية لتطبيع صورة اسرائيل فيما الادعاء الغالب بشراسة هو مقاومة اي تطبيع معها.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000463	
Media	(Support)	HC
Title		تجريم اسرائيل... وتطبيعها
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٧/٦ 6/7/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اريبيل.شارون - الياس.حبيقة - شبلي.ملاط - شمعون.بيرييس
	Locations	شرق.اوسط - اسرائيل - بروكسيل
	Dates	
	Themes	عرب - اسرائيل - اعلام - شرق.اوسط - قضاء بلجيكي - "الحقوقنسانية" - صبرا - شاتيل - آرييل.شارون - سياسة.اسرائيلية - جرائم.ضد.انسانية - منظمة.هيومان.رايتس.واتش - عولمة - عنصرية.صهيونية - مقاومة - تطبيع - مجزرة.صبرا.شاتيل - الياس.حبيقة -
Subject		